مَوْسُوعَةُ فَوَائِدِ القُرآن الزكِيَّة

سُورَةُ الماعُونِ

أ.د خالد بن حامد الحازمي

أستاذ الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية سابقاً

موسوعة فوائد

القرآن الزكية

سورة الماعون

أ.د. خالد بن حامد الحازمي

أستاذ الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية سابقاً

فوائد سورة الماعون

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾

افتتح الله تعالى سورة الماعون بسؤال تقريري، يقرر به حال الذين يكذبون بثواب الله تعالى وعقابه، فلا يطيعون ربهم في أمره ونهيه. فقال عَزَّ وجل ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴾ أرأيت أيها الرسول صلى الله عليه وسلم هذا الذي يكذب بيوم الحساب، وبدين الله تعالى، وينكره، ولا يؤمن ولا يصدق به. وهو سؤال يستثير تعجب الرسول صلى الله عليه وسلم، وكل عاقل، عن هذا الذي يُنكر ويكذب بالدين. وقد شمل البيان جميع أوجه التكذيب المتعلقة بالدين، فهو: التكذيب بحكم الله تعالى، قاله ابن عباس. وقيل: بيوم الحساب، قاله مجاهد وعكرمة، وقيل: الجزاء. حكاه الماوردي. وقيل: القرآن الكريم، حكاه بعض المفسرين[١] فإن من صفات عقيدة هذا المكذب أنه غير مصدق بيوم البعث والحساب، وبالتالي رَتَّب عليه التكذيب بكل شيء متعلق بالدين. مما يبين أن من يكذب باليوم الآخر، تندرج تحته سلسلة متعاقبة من حالات الكفر والإنكار والتكذيب والانحراف عن الخير إلى الشر.

ثم يذكر تبارك وتعالى ما كان من أخلاق هذا الكافر المكذب بيوم الحساب، التي شملت متفرقات من الأخلاق المذمومة السيئة. فقال تعالى ﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴾ فذلك الموصوف بأنه يكذب بالدين؛ فإنه يحتقر اليتيم، فلا يُطعمه مما يأكل هو وأهله منه، ولا يحث غيره على إطعامه، بسبب تكذيبه بالثواب والجزاء من الله تعالى. مما يبين أن من يكذب باليوم الآخر، يترتب عليه انكار الجزاء والثواب والعقاب، وبالتالي يتمادى في الباطل، وسيئات التعامل، والامتناع عن فعل الخير لوجه الله تعالى.

واليتيم هو من مات والده وهو صغير. فإن تعامل هذا المكذب بالدين مع اليتيم هو مضاد لما يجب، مما أمر الله تعالى به، كما في سورة الضحى ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴾ فأما من كان يتيماً فلا تُلحِق به القهر،

(١) ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير (٣١٧/٨)

فتحتقره بسبب يتمه، أو تقهره باستضعافه في ماله وشأنه بسبب قلة حيلته وضعفه وجهله. وقد أفادت دلالة ﴿ فَلَا تَقۡهَرۡ ﴾ المغالبة والغلبة والإذلال الذي يجعله يشعر بالإذلال أمام من قام بقهره في حق له. وهو توجيه من الله تعالى للأمة في شخص الرسول صلى الله عليه وسلم. مما يبين عظمة الإسلام في أخلاقه، ورعايته لليتيم، حتى قال صلى الله عليه وسلم (أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا. وقال بأصبعيه: السبابة والوسطى)[١] وفي تخصيص اليتيم دون غيره، على اعتبار ضعفه، وعجزه، فَغَلَّظ شأن قهره وظلمه والإساءة إليه. وأنه يجب العناية والاهتمام به. مما يبين ويفيد ارتقاء الإسلام بالمؤمنين في كل جانب من جوانب الحياة.

ثم يذكر تبارك وتعالى ما كان من أخلاق هذا الكافر المنكر ليوم الحساب من مساوئ الأخلاق السيئة الذميمة. فقال تعالى﴿ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ﴾ فإنه لا يُطعم المسكين، ولا يحض غيره على إطعامه. فبعد أن ذكر جَلَّ جلاله تقصير هذا الشقي في حق ربه عَزَّ وجل، وحق اليتيم فإنه كذلك قد بلغ به الطغيان إلى درجة أنه لا يُؤدي حتى حقوق الضعفاء، بل إنه ممتنع عن أدائها بالرغم من المؤثرات العاطفية التي تظهر على المساكين من شدة الحاجة والفاقة. فقال جَلَّ شأنه ﴿ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ﴾ فإنه لا يُطعم المسكين، ولا يحض ويحث غيره على إطعامهم. فلا ينتفع غيره به من المحتاجين من عباد الله تعالى، فلا يعطيهم حقهم من الإطعام والعون لهم. وقد جمعت دلالة ﴿ وَلَا يَحُضُّ ﴾ أنه لا يعطي، ولا يحث غيره على إطعام المساكين.

فجمع هذا المكذب بالدين بين التقصير في حق ربه، وبين التقصير في حق من يتعايش معهم من المساكين واليتامى. بما يفيد قسوته وشدته. ومن مزيد فوائد دلالات البيان الكريم: أن شمل واستوعب قوله تعالى ﴿ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ﴾ جميع أوجه الذم له في عدم إعانة المساكين. بأنه لم يؤد حق الله تعالى فيهم، ولم يؤد حتى حق المساكين عليه من الشفقة والإعانة. بل جعل من نفسه أسوة وقدوة في الإمساك، ودعوة غيره للاقتداء به في بخله.

مما يبين أهمية العناية بالمحتاجين، والإنفاق على المساكين، فإنها من أخلاق الإسلام وواجباته على أتباعه. وأن للمساكين حقوقاً على غيرهم من القادرين. كما أفاد هذا البيان العظيم عناية الله تعالى بالمساكين، التي قد فرضها على أهل اليسار. كما يوجب هذا البيان الكريم الحق للمساكين، والتنويه بعظمته وأهميته. إذ به يحصل التواد والترابط الاجتماعي، وأن الله تعالى يبتلي ويختبر أهل اليسار بما أنعم عليهم. وأن التفضل على المساكين حق يلزم القيام به.

---

(١) البخاري، الجامع الصحيح، برقم (٦٠٠٥)

ثم ينتقل البيان الكريم إلى شأن المتلاعبين بالصلاة، فقال عَزَّ وجل ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ﴾ الوعيد الشديد، والتهديد العظيم للمتظاهرين بالصلاة، وهم مخالفين للظاهر منهم، فقال تعالى ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ﴾ المصلين الذين هم ساهون غافلون غير مبالين بالصلاة. قال ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى: فالوادي الذي يسيل من صديد أهل جهنم للمنافقين الذين يُصَلُّون، لا يريدون الله عَزَّ وجل بصلاتهم، وهم في صلاتهم ساهون إذا صلوا. وذكر أقوال أهل التفسير في ذلك: فقيل: الذين يؤدونها بعد خروج وقتها. وقيل: يتركونها ولا يصلونها. وقيل: الذين يتهاونون بها، ويتغافلون عنها. ثم قال رحمه الله تعالى: وأولى الأقوال بالصواب: لاهون يتغافلون عنها، وفي اللهو عنها والتشاغل بغيرها، تضييعها أحياناً. وتضييع وقتها أخرى. وإذا كان كذلك صح بذلك قول من قال: عُني بذلك ترك وقتها. وقول من قال: عُني به تركها. [1] مما يفيد أن دلالتها قد جمعت جميع حالات التهاون في الصلاة، والانشغال عنها. وهذا تحذير لكل من يتهاون بالصلاة على أي وجه كان من أوجه التهاون، وعدم المبالات بها.

ثم يزداد البيان الكريم كشفاً لحال هؤلاء مع الصلاة، فقال تعالى عنهم ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ﴾ أي: فإذا كانوا مع المؤمنين صلوا رياء، وإذا خلوا عنهم لم يصلوا. قال القرطبي رحمه الله تعالى: أي: يُري الناس أنه يصلي تقية، كالفاسق، يُري أنه يصلي عبادة، وهو يُصلي ليقال: أنه يصلي. وحقيقة الرياء طلب ما في الدنيا بالعبادة، وأصله طلب المنزلة في قلوب الناس[2] ومحل هذه المرآة القلوب، فهي بين العبد وربه، لأن الأصل في الفرائض الظاهرة كالصلاة البروز والظهور، فإذا كانت فريضة ظاهرة كالصلاة فلا رياء فيها ما لم يقصد العبد بقلبه الرياء. قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى: نزل هذا في المنافقين الذين لا يرجون لصلاتهم ثواباً، ولا يخافون على تركها عقاباً[3] ومن مسائلها الفقهية ما ذكره القرطبي رحمه الله تعالى: لا يكون الرجل مرائياً بإظهار العمل الصالح إن كان فريضة. فمن حق الفرائض الإعلان بها وتشهيرها[4] لأن الرياء منوط بالقلب الذي يحمل النية الباطنة، مما يستوجب من المؤمن الحذر من الرياء في جميع العبادات، بأن يخلصها لله سبحانه وتعالى.

---

(1) ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٦٥٩/٢٤)

(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (١٤٤/٢٠)

(3) ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير (٣١٧/٨)

(4) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (١٤٥/٢٠)

ثم يزداد البيان لحال هؤلاء في نفعهم للناس، فقال تعالى عنهم ﴿ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴾ أي: يمنعون عن الناس ما عندهم من المنافع. لأن الماعون من دلالات الإعانة، فيمنعون ويمتنعون عن إعانة غيرهم فيما يحتاجون إليه منهم. ومعنى الماعون كما قال ابن جرير رحمه الله تعالى: أن أصل الماعون من كل شيء منفعته. يُقال للماء الذي ينزل من السحاب: ماعونه. وقيل في ذلك: أنها الزكاة. أي: يمنعون زكاة أموالهم. وقيل: ما يستعيره الناس فيما بينهم، مثل القدر، والدلو وغيره. وقيل: المعروف. وقيل: المال. وقال ابن جرير بعد أن ذكر تلك الدلالات: إن الله وصفهم بأنهم يمنعون الناس ما يستعيرونه بينهم، ويمنعون أهل الحاجة والمسكنة ما أوجب الله تعالى لهم في أموالهم من الحقوق[1] فدلالة قوله تعالى ﴿ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴾ استوعبت منع كل عون ينتفع الناس به، مما يحتاجونه، سواء على سبيل الإعارة أو على سبيل العطاء. مما يبين عناية الإسلام بالتعاون الاجتماعي بين الناس، وما يكون من أثره في غرس التواد، والتراحم فيما بينهم. بل إنه خُلُق كريم وعلامة على رُقي وعلو منهج الإسلام، ودافع لغير أهله أن يدخلوا في دين الله تعالى. مما يبين أهمية إظهار هذه العبادة والحرص عليها، رغبة في طاعة الله تعالى، والحصول على ثوابه، وتطهيرها من الرياء الذي لا يعلم به إلا الله عَزَّ في علاه.

وأحمد الله تعالى وأشكره على ما أنعم به عليَّ من شرف هذا العمل، فوفقني على إتمام سورة الماعون. ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، وتُب علينا إنك أنت التواب الرحيم. والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله أجمعين.

(١) ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٢٤/٦٦٦-٦٧٨)